م/1 2025/10/1

بيئات الأهوار العراقية

تمثل بيئات الأهوار العراقية بالتقاء ثلاثة بيئات رئيسية مختلفة النهرية والزراعية والصحراوية وتصنف من البيئات المائية الداخلية المعقدة. تتميز بيئات الأهوار بديناميتها أي تغيرها المستمر نتيجة لتأثرها الشديد بالظروف الهيدرولوجية وعملياتها المستمرة واختلافها اليومي والموسمي والسنوي وعلاقتها بتقلبات المناخ في المنطقة وتأثير الموقع الجغرافي عليها والنشاط البشري المتواجد فيها. نتج عن كل هذه الظروف المتغيرة باستمرار مدى واسع من أنواع بيئات الأهوار المختلفة، وليس من السهل رسم حدود لبيئات الأهوار بسبب التداخل مع البيئات الأخرى وتغير مستويات المياه وبالتالي تواجد أنواع كثيرة من الأحياء المختلفة التي تكيفت لها، ونتيجة لذلك تحوي بيئات الأهوار على أنواع أكثر من البيئات المجاورة وحتى من الأنواع الأخرى من الأراضي الرطبة.

تحوي الأهوار الصفات البيئية للمياه العميقة مثل الظروف اللاهوائية للقيعان وحركة المياه وتواجد الهائمات النباتية والحيوانية واللافقريات الكبيرة والأسماك والسلاحف والطيور المائية ومن الجانب البري النباتات المائية الوعائية والطحالب الكبيرة واللبائن المقيمة والمترددة.

تعتبر الأهوار العراقية من أبرز المعالم الجيومورفولوجية في جنوب وادي الرافدين وهي تتشكل جيولوجيا من مجموعة معقدة من البيئات الترسبية البحيرية تتميز بوجود الكثافات العالية من نباتات القصب والبردي في الجزء الأوسط والجنوبي من وادي الرافدين ومياهها بحالة توازن هيدروستاتيكي ما بين المياه السطحية لدجلة والفرات مع حوض المياه الجوفية (Ground water table)، ومعزولة عن مجاري الرافدين والأفرع الرئيسية تقريباً بعدة أنواع من الأكتاف النهرية ، نتيجة لكثافة التجمعات النباتات المائية سمحت للأهوار بإسناد تنوع بيئي كبير للأحياء بالمقارنة مع البيئات المجاورة والمماثلة على سبيل المثال حواف البحيرات والينابيع. يضاف لذلك وجود النباتات المائية المتخصصة والمتكيفة للأراضي الرطبة ومنها الأهوار يؤدي لثلاثة وظائف بيئية أساسية وهي:

1- الإنتاجية الأولية 2 - الشبكات الغذائية 3- تدوير المعادن والمغذيات

قسم Evans (2002) بيئات الأهوار العراقية (Biotopes) إلى دائمية وفصلية، تتكون الدائمية من البحيرات وأهوار المياه العذبة والأنهار والجداول والبرك، اما المؤقتة تشمل حواف الأهوار والسهول الفيضية وقنوات الري ومزارع الرز والبرك الضحلة المالحة. تتميز الأهوار الجنوبية بوجود بيئات متعددة لا يوجد ما يماثلها في بقية مناطق الأراضي الرطبة، وتمثل منطقة تداخل بيئي لانتشار أنواع حيوانية آسيوية وأوربية وافريقية خصوصاً للأسماك والطيور واللبائن، أطلق السكان المحليين تعابير تميز هذه المناطق البيئية عن غيرها وتحوي الأهوار الكبرى غالبية الأنواع التالية:

1- بيئة الهور المفتوح

وهي نوعا من الأهوار الكبيرة ويسمى علمياً (Openness marsh). وذات مساحة مائية واسعة ومفتوحة وعميقة نسبياَ بالمقارنة مع المناطق المحيطة بها. لا يتجاوز معدل عمق المياه ثلاثة أمتار إلاّ ما ندر. تكثر فيها النباتات المائية الغاطسة والطافية وتوجد فيها الطيور المائية الغواصة والسابحة والأسماك السريعة والأفاعي المائية ويطلق عليها محلياً اسم (البُركة).

2 - بيئة الهور البركي

يسمى علمياً (Pond marsh) وهو منخفض ضحل ينمو فيه القصب والبردي بشكل متفرق وبكثافة قليلة. بعضه دائمي والآخر مؤقت تؤمه الطيور الخواضة بكثرة وتوجد فيه بعض الأسماك الصغيرة والقواقع ويطلق عليه محلياً اسم (الشيحة).

3 - بيئة الهور القنالي أو الاصبعي

تعني نوعا من الأهوار وتسمى علمياً (Channel or Finger (marsh) وهو هور دائمي يكون على شكل ممر أو اصبع والمياه فيه أعمق من المناطق المجاورة، وينمو القصب والبردي بكثافة على جانبيه وتكثر فيه القواقع والروبيان والأسماك ويستعمل للنقل وصيد الأسماك ويطلق عليه محلياً اسم (الكواهين).

4- بيئة الهور الحافي

يسمى علمياً (Fringe marsh) وهي حواف أو ضفاف الهور والتي تغطيها المياه الضحلة وتجف أحياناً وتنمو فيها النباتات المائية البارزة والغاطسة والطحالب الكبيرة بكثافة وتحتمي فيها أنواع الأحياء المائية والأسماك الصغيرة وتؤمها الضفادع والأفاعي والسلاحف وأنواع معينة من الطيور المائية الخواضة والحيوانات اللبونة ويطلق عليه محلياً اسم (الراك). وتتشابه لحد ما مع الأهوار البحيرية لسواحل البحيرات (Lacustrian marsh) وتختلف عنها في ظروف الفيزيائية والكميائية.

5 - بيئة السهول الفائضة

يسمى علمياً (Flood plain marsh) وهي سهول فيضية تتعرض إلى فيضان موسمي أو ارتفاع في المياه الجوفية التي تكون قريبه من السطح بشكل دائمي أو فصلي وتنمو فيها نباتات مائية مختلفة وتؤمها أنواع عديدة من الطيور خصوصاً الخواضة والنوارس، ويطلق عليه محلياً اسم الزيليجة (الزلقة).

6- بيئة الهور الشاطئ

يسمى علمياً (Riparian marsh) وهو نتيجة لفتحة أو كسر في أكتاف روافد الأنهار الواصلة للأهوار (Oxbow)، تغمرها المياه بصورة دائمية أو موسميا وتنمو فيها النباتات المائية البارزة والطحالب الكبيرة وتكثر فيها أنواع اللافقريات الكبيرة والأسماك الصَغيرة وتؤمها الطيور الخواضة والساحلية.

الأهمية البيئية للأهوار العراقية

يطلق على بيئات الأهوار تعبير بيئي (Ecotone) أي المنطقة البيئية الانتقالية بين بيئتين مثلا اليابسة والمائية العميقة وتحوي صفات كلا البيئتين. وتتميز بالعوامل البيئية التالية:

1. الرواسب المشبعة بالماء.

2. النباتات المائية المتخصصة لهذه البيئة قليلة الأوكسجين أو المختزلة.

3 وجود الماء السطحي والجوفي.

تتميز الأهوار العراقية بتنوعها الحيوي والبيئي العالي وإنّها البيئة الأساسية Fundamental habitat للعديد من الكائنات ويعيش في الأهوار حالياً أكثر من 90 نوعاً من الفطريات وأكثر من 260 نوعاً من الهائمات النباتية والطحالب و 51 نوعاً من النباتات المائية وحوالى 89 من الهائمات الحيوانية و 92 من اللافقريات الكبيرة وأكثر من 41 من الأسماك النهرية والبحرية المهاجرة وتضم أكثر من 159 نوعاً من الطيور المائية المقيمة والمهاجرة الشتوية والصيفية وأكثر من 18 نوعاً من اللبائن المقيمة والمترددة عليها.

تتفوق الأهوار بإنتاجيتها الأولية والثانوية العالية على الكثير من المسطحات والأجسام المائية الداخلية وهذا نتيجة لوجود الغطاء النباتي الكثيف، لا يستهلك من إنتاجية المواد العضوية الاّ الجزء اليسير (10-15) من قبل الأحياء الأخرى ويتحول الباقي إلى فُتات عضوي (Detritus)، وتعرف الأراضي الرطبة بأنها المنتج والمصدر الكبير لها.

إنّ كثافة الغطاء النباتي وكثرة الطحالب الكبيرة وتوفر الفُتات العضوي من الأسباب التي دفعت الحيوانات للجؤ للأهوار لأغراض التغذية والتكاثر والحماية، مثل الأسماك البحرية والروبيان البحري المهاجرة والطيور المهاجرة، توفر كثافة النباتات المائية ملجأ أمين ليرقات الأسماك واللافقريات وصغار الأحياء الأخرى لحمايتها من المفترسين الكبار.

تنفرد الأهوار العراقية عن بقية الأراضي الرطبة في العالم إذ أنّها مسكونة من قبل البشر وهناك تناغم مع البيئة أي أنّ وجود الإنسان لم يسع إلى تغيير أو تدمير البيئة وتمتد حضارة عرب الأهوار إلى 5000 سنة في عزلة نسبية عن التطور الحضاري والعيش على جزر مصنوعة من القصب والتراب. تشمل الأهوار العراقية الوسطى والجنوبية الرئيسة بيئات مياه عذبة وقليلة الملوحة ومويلحة، الأهوار الوسطى وهور الحويزة تمثل أهوار مياه عذبة أساساً، وهور غرب الحمار فيمثل بيئات مياه قليلة الملوحة وهور شرق الحمار فيمثل بيئات مويلحة ويتأثر بظاهرة المد والجزر النصف يومية.

منافع الأهوار

تمثل الأهوار دوراً كخزان كبير للمياه وخصوصاً أثناء فترة الفيضان الربيعي لدجلة والفرات بدلاً من ذهابها فوراً إلى الخليج العربي. تقوم الأهوار بتسوية سريان مياه الأنهار الواردة حيث تستوعب الزيادات المفاجئة أو الموسمية للمياه الداخلة مما يؤدي إلى تفادي الفيضانات المفاجئة أو الموسمية للأنهار. تعيد الأهوار تخزين حوض المياه الجوفية التي تستهلك في ري الأراضي الزراعية في تلك المناطق وإرجاعها إلى مستوياتها السابقة.

تعتبر الأهوار مصدراً أساسياً للثروة السمكية وقدرت منظمة الغذاء والزراعة الدولية في الستينات من القرن المنصرم الإنتاج السمكي (30) ألف طن ثم انخفضت إلى (16) ألف طن في التسعينيات، إنّ حوالى (60) من الأسماك المصطادة في العراق مصدرها الأهوار الجنوبية، ومجهز رئيس للطيور الداجنة والبرية لغرض الاستهلاك المحلي خصوصاً في أشهر الشتاء. وهي مصدر مهم للروبيان البحري المهاجر ولقد قدر المحصول التجاري في اثنين من أسواق مدينة البصرة فقط خلال الموسم أيلول - تشرين الثاني بمعدل 1000 كغم يوم.

تستغل حواف الأهوار والأراضي المجاورة لها في زراعة الرز (الشلب)، وتعتبر مصدرا كبيراً للنباتات مثل القصب والبردي التي تدخل في عدة صناعات مثل صناعة الورق وصناعة الزوارق المحلية وصناعات الفلكلورية وصناعة مواد البناء الريفية.

تشكل المساحات الواسعة من القصب والبردي والنباتات المائية الأخرى مناطق رعي لقطعان الجاموس والأبقار فضلاً عن تربية أسراب الطيور المائية وصناعة الألبان وأماكن مناسبة لتربية الأسماك النهرية والروبيان.

للأهوار دور في مكافحة التلوث المدني والزراعي الذي يصيب الأنهار العراقية وخصوصاً بعد ازدياد استعمال الأسمدة الزراعية، مما أدى إلى ارتفاع نسبة المغذيات العضوية في الأنهار، فضلاً عن عدم وجود محطات معالجة مياه الصرف الصحي. وصفت الأراضي الرطبة بأنها الكلية (Kidney) لمياه الأنهار، إذ تعمل النباتات المائية البارزة والغاطسة بتصفية المياه الملوثة بالمواد الزراعية والأسمدة ومياه الصرف الصحي غير المعالج.

تشكل الأهوار مكان مناسب للسياحة البيئية في جنوب العراق بسب وجود المناظر الطبيعية الرائعة (Landscape). وأنها فريدة من نوعها في الشرق الأوسط مما يجعلها مكاناً ملائماً للسياحة البيئية خصوصاً في موسم الشتاء وأثناء هجرة الطيور اليها، فضلاً إلى أهميتها لأغراض البحث العلمي الدولي حيث يراقب العديد من الباحثين هجرة الطيور بين القارات.

تخفض الأهوار من خلال المساحات المائية الشاسعة فيها من شدة حرارة الرياح الشمالية الغربية الحارة الهابة على هذه المنطقة الصحراوية والجافة. وتقوم بتخليص الهواء الجوي من ثنائي أوكسيد الكاربون الذي تستهلكه تجمعات الكثيفة للنباتات في عملية التركيب الضوئي. وتقوم أيضاً بخزن الكاربون الفائض في النباتات الميتة والمتحللة على شكل فتات ودبال عضوي يدفن في رواسب القاع.

تحتوي الأهوار الجنوبية على مكامن وحقول نفطية وغازية عملاقة قد تكون الأكبر في العراق والشرق الأوسط مثل حقل غرب القرنة وحقل مجنون والرميلة الشمالي وذات نوعية نفط جيدة من خيرة الأنواع في المنطقة وأقلها كثافة مثل حقل (نهران عمر).

تدمير بيئة الأهوار

تعرضت الأهوار إلى نكبة بيئية وتدمير شامل وتعرض سكانها إلى التشريد ومشاكل خطيرة من خلال دخول العراق في حروب متعددة. وكانت الأهوار ساحة لمعارك عسكرية كبيرة ولمدة طويلة قاربت

الثمان سنوات، وبنيت خلال سنوات الحرب العراقية - الإيرانية شبكة من الطرق والسدود والقنوات لتجفيف الأهوار الشرقية، فقد جفف الجزء الأكبر من جنوب ووسط هور الحويزة وحرقت مساحات واسعة من القصب في التسعينيات من القرن المنصرم قامت الحكومة البائدة بحملات منظمة لتجفيف وتصريف للمياه من خلال بناء مجموعة كبيرة من السدود وقنوات التصريف، أدت إلى تدمير مناطق الأهوار الجنوبية وما تبعه من تهجير لسكانها العرب الأصليين وفقدانهم المناطق عيشهم وارزاقهم. عانه سكان الأهوار من موجات التهجير ضمن حملة قامت بها الحكومة العراقية السابقة في التسعينيات.

وأشارت التقديرات في الأعوام (2003-2004) إلى أن ما بين 85.000 إلى 100.000 من عرب الأهوار يقيمون الآن ضمن وحول ما تبقى من مناطقهم الأصلية بما فيهم أقل من 10% يعيشون على الطريقة التقليدية. في حين يبقى حوالى 100.000 إلى 200.000 من عرب الأهوار مهجرين داخلياً ضمن العراق، وحوالى 100.000 يعيشون حول الأهوار.

مقدار ما تبقى من الأهوار في بداية عام 2003 لا يتجاوز (7- 10) من مساحتها الأصلية مع انهيار نظامها المائي والبيئي السابق. عمد السكان المحليين في ربيع عام 2003، بفتح بوابات الخزانات وكسر السدود لإعادة تدفق المياه من دجلة والفرات وشط العرب للأهوار.

2026-2025 الأهوار